

محمود سعيد يستذكر الحرب اللبنانية في روايته (نطة ضفدع)

سرد روائي يسجل لحظات فقدان الأوطان

شكيب كاظم



بغداد

اعادت قراءة رواية (نطة ضفدع) للروائي العراقي المغترب محمود سعيد والصادرة مطبعتا الأولى عام 2011، عن دار الغاؤون للنشر والتوزيع ببغداد، اعادت لي صور ادب الحرب الاهلية اللبنانية التي اندلعت في شهر نيسان من عام 1975، وانفجرت جذوتها بانفجار الطائف عام 1989، فهي فضلا عن تصويرها لحياة اثنين من المهاجرين الهاربين من العراق، وتحديدًا من مدينة الموصل، بدايات سنوات الحرب العراقية الايرانية، تورقا الى مدن العلم، ويحيا عن حرية ممتدة، وما يعرضان اليه، نور الدين وصديقه نون من مخاطر ومطببات ومفارقات، لعل من أمثلهما في الذهن وجهما الشديدا من هذا الشاب الذي كان يسير خلفهما كأنه ظلما، وما يتعجبان في هواجس ومخاوف، كونه عينا للجهات الامنية، وانه مكلف برماقتهما او الفاء القبض عليهما، حتى هم نور الدين يدفع من القطار، الذي كان يواصل سيره بغية التخلص منه، لكن صديقه نون يمنعه من اقتراف هذا العمل المنهوي، يظهر لهما، وقد نزل معهما في الفندق بضعة الذي نزل فيه، انه هو الآخر هارب من العراق وانه لا يعرف شيئا في هذه المدن السورية التي لجأ اليها، ويطمح الى مساعدتهما، بعد ما سمعهما يتحدثان باللهجة العراقية، ما ان انتهيا من عملية تسجيل الاسماء، حتى تقدم الرجل الاسمر الى موظف الفندق ويهلهجة عراقية مضطربة، انا ايضاً عندي بطاقة شخصية - تكرم خير.

يحدثان به برهة، ثم ينفجران بهفوة قوية، يهتفان بوقت واحد: مادمت عراقياً فلماذا لا تعرف نفسك؟ يبتسم الرجل، ينظر الى نور الدين ونون ومسحة خجل تغطي ملامحه: التردد لشيء آخر رايتكما في القاسمشي في المطعم، تتكلمان باللهجة العراقية، قلت نعم الرفيقين، اريد الوصول الى دمشق كنا ثلاثة جثتا من البصرة، اعقل اثنان في بغداد هربت، تركت حقيبة في الفندق، التفتت شخصاً في الكافيتية، اتلفتت معه ان يوصلني الى الحدود بخمسعين ديناراً، ظم الله الشك بلان زماني، اطمانت حين رايتكما، علمت انكما تتهجان للغاية عنينا، تبعتما.

صاغتت انك كنت قتلتن من الربع (....) قهقهوا جميعاً... ص53، ص54.

اعادت الى ذاكرتي الهبات التي تعرض اليها الراوي المركزي في رواية (عسراقي في باريس) الرائعة للروائي العراقي المغترب صموئيل شمعون، ان اطمح ان يقرأها محمود سعيد، التي تحاكي انفضاض، وسوء الظن الذي حاق بنور الدين وزميله وصديقه نون، وانتهم بركلات وضعفات وشق في اعلى صيوان اننيهما اذ من مفارقات الحياة وتعايشها، ان يعقل الراوي المركزي في رواية (عسراقي في باريس) في اكثر من بلد عربي، وكل بلد يجسبه جاسوساً للبلد الاخر، وتغلغل احدى الخاصم الملحة، ايام الحرب الاهلية اللبنانية ولاننا - دائماً - نحسب الاخر عدواً، لا لسبب، فانه يعتقد لانهامه انه عن استخبارات متصلة للغسطينيين، غير انه - عجباً - يحاول افهام معتقله، انه رجل يهوى السينما والافلام، وانما غادر بلده العراق طامحاً بالذهاب الى عاصمتها السينما الامريكية- نيويورك، ان يسائه معتقلاً- وتاتي هنا المفارقة- في ان السينما الفرنسية ومخرجيها، واسمي الموسيقى التصويرية لها، مطليها، ممتلاتها الجميلات، واذا كانت بضاعتك من السينما الفرنسية قليلة مطيفة، فان ذلك يزيد من شك معتقله به، وحققة عليه، فيوقع به في ايدى الاذى والتعذيب، صارخاً به: يا ابن الشرموطة، كيف ترى ديني ان اصدق انك تحلم بالدمع في السينما، ولا تعرف جاك لوك غودار، ولم تسمع بالمولفين فاغ ها؟ قد اعطيتك فرصة اخرى وفلنتك فيها ايضاً.

لكنه، يطل الرواية هذه، ومن اجل ان يزيل التهمه عنه، يدلي بما يعرفه عن السينما الامريكية، صارخاً بصوت عال: انني اعرف كل شيء عن جون فورد، جون واين، هنري فوندا، جيمس ستينوارت، كاري كوبر، مورين اوههارا... ويطل يسرد عليه معارفه بالسينما الامريكية، وما يزيل التهمه فيه وتاتي المفجاسة بان يطلق صراخه: نورالدين ونون الهاربين يطمسحان للحصول على جواز، يتيح لهما السفر الى مدن الاحلام، ولاهما لايعرفان احداً، ولايمتلكان الوثائق الكافية، والمال اللازم للحصول عليه، فلم يبق امامهما سوى زج نفسيهما في احدى المنظمات لكتفها وهي المدججة بنظرية المؤامرة والاختراق، تعاملهما معاملة مرتابة قاسية، ولاهما معتقلان، ولايحصلان رسالة تركية من احد، ولم يذكرا من ساعدهما على الهرب، اذ ان كل الغدابين من العراق معهم رسائل تركية من احزاب، او شخصيات، او اسما من تكفل بتهربيهما، فهما الوجدان اللذان جاء من غير مساعدة او رسالة، هذه الحفلة الحقيقية، التي تشوبها اجواء الريبة والشك، انتهت بنور الدين وزميله نون بعد ان اشبعوا وكلاً وضرباً وضفماً، باحداث شرح في اعلى غضروف صيوان اننيهما، مع موجة من الشنائم المقذعة (افحاً اعينكما اولاد (...))، اولاد المخائنة، ايها الجرمنون، ايها الخونة، انظروا جيداً، دعاء لم تجف بعد على الحناظ اعدينا البارحة خائناً جاسوساً ممتكلاً (...)) هذا درس لكما، لكل جاسوس، يامخائنة...

ص98

بغداد

عليك سوى لحظتك هذه، فما ان حلت به الطائرة في مطار موسكو حتى كان يهافت من الفندق المحبوبة القديمة (لينا) الذي ظل اسما عالقاً في ذهني منذ ايام قرأت كتابه (رماد الرويش) فضلاً عن سوريا وتونسيا ضد التيار، تيار الحياة، لذا سرعان ما انهار، ولو كان منبياً على اسس صحيحة لما انهار بهذه السرعة القياسية، ابصح ان حياتها طوال الاشهر الثلاثة التي امضاهما في موسكو موفداً... واذا كان (رماد الرويش) سرداً ذاتياً لذائذاً انياً، فانه في (الريح تمحو والرمال تتذكر) الذي اصدرته دار المدى للثقافة والنشر سنة 1996، قد استخدم طريقة تيار الوعي، في استذكار ايامه الماضية في العراق، وجعل هذه الاستذكارات الموحية والرائحة بين هلالين، حتى يدل القارئ على نوعية الكتابة هذه، واذا كان حديثه عن ايامه في موسكو ياتي بضمير المتكلم وبالغفل المضارع، فانه ياتي بضمير الغائب وبالفعل الماضي لدى استخدامه تيار الوعي، انه مزوجة جيلة بين الحاضر والماضي، وعلى ذلك ياتي في تاليف الذاكرة، انه حديث عن موسكو، وحديث عن تلك القوية العراقية العاقلة على اكتاف الهور.

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

هذا الكتاب، ولكن هل تسمح ظروف الحياة الابدية المصرية باذاعة هذه الآثار يوماً ما؟» واتساءل: هل يجوز هذا، قدمت كتاباً حمل عنواناً غامضاً (أديب) ماذا لو سمعته جلال شعيب ونشرت بعضاً مما امتلات به حقيية صديقك؟ لكنها سخائم الروح. وتجيء اخت الفتى خائفة شاحبة الوجه، قائلة ان افراد الشرطة قد داهموا الصرية، وهم يصرون على فتحيت الخزانة حيث تلوح الكتب خلف الزجاج المقفل، والفتاح معه. فاعطاها المفتاح وهو قرير أمن، فلا شيء في الخزانة او المنزل مما يبحث عنه الموض والمختار.

لغة رائعة

وينقلب القصارب عائداً بالشرطة الى (الطويل) مسرعاً مظلماً جاء. هاهي ايدي الشاعر البرع تتحرق، ولم يعض الاام واحد هذه الايام عشر من ترموز، كما هو في (رماد الرويش) يذكر الاسم الاول من اصدقائه وزملائه ولقد تعرفت في (رماد الرويش) على غائب طعمة فرمان وغازي العبادي انهار، وما كان منبياً على اسس صحيحة لما انهار بهذه السرعة القياسية، ابصح ان حياتها طوال الاشهر الثلاثة التي امضاهما في موسكو موفداً... واذا كان (رماد الرويش) سرداً ذاتياً لذائذاً انياً، فانه في (الريح تمحو والرمال تتذكر) الذي اصدرته دار المدى للثقافة والنشر سنة 1996، قد استخدم طريقة تيار الوعي، في استذكار ايامه الماضية في العراق، وجعل هذه الاستذكارات الموحية والرائحة بين هلالين، حتى يدل القارئ على نوعية الكتابة هذه، واذا كان حديثه عن ايامه في موسكو ياتي بضمير المتكلم وبالغفل المضارع، فانه ياتي بضمير الغائب وبالفعل الماضي لدى استخدامه تيار الوعي، انه مزوجة جيلة بين الحاضر والماضي، وعلى ذلك ياتي في تاليف الذاكرة، انه حديث عن موسكو، وحديث عن تلك القوية العراقية العاقلة على اكتاف الهور.

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

الايكوح الثالثة.. فاذا بالزرقة القديسية العجيبة تغصر، فجأة، كل شيء، واذا به لايري غير هذه الزرقة مترعة الفراغ بين السماء والارض، وعلى كرسي أخضر يرتفع بقوامه عن الارض، لايمس شيئاً منها، قائماً في الهواء على كرسي أخضر ابصر بالامام الشهيد متعمماً بمعامته الخضراء ملتقاً بعباعته السوداء، صامتاً لا يتحرك، مشيحاً بوجهه عن الارض، نيراً، قدسياً مسربلاً بالظهر والنقاء.. وكان وجهه الساكن واضحاً بهيها، ولم تدم الرؤيا الا برهة واخستفى كل شيء.. فإزاح الفتى العصابة عن عينيه المحتقنين فأذابه يرى الاشياء في وضوح، وقد انحسر الورم من عينيه وتلاشى دفعة واحدة، وطفى الرمد اختفاءً، ولم يصب الفتى بعدها بالرمد، ولم يزل يندكر تلك الهمة النواربية الطاهرة، والزرقة القديسة الباهرة العجيبة (...)

تحت هذه بالرؤيا (الصوفية) فيما يظن، بل هي رحمة خصه بها الامام الشهيد الختلموم... 126، 127 ولقد رايت لغته اكثر روعة وهو في تيار وعيه مستذكراً حياته في العراق، لغته وهو يحدتفا عن حسانته الموسوفية، ترى الجذور العراقية التي رضع من لبنائها اثر في ذلك يعود ذلك لحده للعراق، فتتحاق لغته - من حيث اباديري او يتقدم - حين يتحدث عنه! اني نصوص الكتاب ووجدت هذه الظاهرة، ولعل من بقرا الكتاب يجد تصديقاً قولتي

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

اصول



نطة الضفدع رواية

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص166، ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996

ص167 من رواية الشياح لإسماعيل فهد إسماعيل. طبعة دار المدى للطباعة الثالثة 1996



محمود سعيد

لان الريبة تفتت سموها في كل مجال، بسبب النزاع والحرب، ولان الانسان متعم حتى تثبت تهمة لا برائة، فلا برائة في اجواء القتال، ما كان شأنها، وقد ذهبها للسياحة في البحر، مع الجانب الاخر بافضل مما جوبها به في ذلك الجانب، ولائها غريبان لايعرفان تضاريس المدينة، وانسامها على نفسها